الفلاح ورفع مستواه

لحضرة صاحب السعادة محمد بدر باشا

"محافظ أسيوط سابقاً"

سيدتي وسادتي :

تفضلت وزارة الشؤون الاجتماعية فدعتني لإذاعة كلمة أختارها ، واخترت أن أتحدث إليكم عن الفلاح ورفع مستواه و الفلاح جدير بالتحدث عنه و العناية به لأنه مصدر الخير وعماد الثروة ، وقد مر به حين من الدهر وهو شقي تعس لم يستمتع بطيبات الحياة ولم يذق لذة العيش يرقب الخير في صبر ويصلي لإصلاح في غير عنف وقد آن أن نعمل على رفع مستوى حياته إنصافاً له وشفقة عليه ، حقيقاً للمساواة بين أفراد الأمة هذه المساواة التي ينص عليها دستورنا وننادي بها ونتغنى بمجدها ، يتعين أن نعدل بين الجميع ونهيء فرص النجاح في الحياة لكل فرد من أفراد الأمة وهذه المساواة لن تكون والفلاح محروم من أبسط المقومات للنضال و للكفاح وهي المال والصحة والعلم ، إن شقاء الفلاح يرجع إلى الفقر والمرض والجهل ، والفقر أسوأها أثراً في حياته وأشدها قسوة عليه . وهو أس مصائبه ومصائب الناس جميعاً لهذا حاربته الأديان على اختلافها وأوصت ذوي اليسار خيراً بالمعوزين . وقال الإمام علي "لو كان الفقر رجلاً لقتلته" وكان قوله حقاً حينذاك وهو قول حق إلى اليوم وقد مررت به فوافق الدهر وعاينا أن نبدأ بقهره إن كنا من المصلحين ذلك في موته قتلاً للبؤس وحياة للنفوس ، فقد نزل الفقر بالفلاح إلى مستوى الماشية فساكنها حظائرها وحرمه من طعام يشبعه و يغذيه وأعرى به الأمراض والعلل فمال عنه الطبيب وعز الدواء ، وحال الفقر بين الفلاح و بين حياة الإنسان في أبسط مظاهرها ذلك عليه لباساً يقيه البرد و الحر ومنزلاً تسكن إليه النفس ، والطاقة قضت على الفلاح بالجهل ومزقت ثوب الفضيلة عنه فخبثت إليه ما للغير ودفعته إلى العدوان استضافته السجون ، والعوز دفع صغار الفلاحين في حياة العمل الشاق في سن مبكرة سعياً وراء الرزق فحرمهم ذلك من التعليم وحرم جسومهم أن تستكمل نموها ، فأصبحت هزيلة وباتت أشباح أجسام ، هذا ما جناه الفقر على الفلاح فكيف الخلاص منه ؟ إن خير سبيل لمقاومته أن نسعى لزيادة دخل الفلاح بكسبه وهناك طرق للوصول لذلك أذكر بعضها في غير تفصيل لضيق الوقت لعل المصلحين يجدون فيها ما يهتدون به . أول ما يجب عمله التحسين حال الفلاح أن نعمل على زيادة أجره لأنه قليل لا يمكنه من قضاء حاجته وحاجات من هم في كنفه من

روحة وأولاده، ويجب تحديد النهاية العظمى للأجور فى مختلف مناطق القطر على ألا يبالغ فى الزيادة سعيا لاضرر عن صاحب العمل والمنتج . إذ لو زادت الأجور زيادة كبيرة لانصرف صاحب المال إلى طريق آخر من طرق الاستثمار ، فينقص الإنتاج وتنتشر البطالة وتقل الأجور فيصيب الفلاح ضرر أردأ دفعه عنه ، ويجب أن تعنى الحكومة بالهجرة وتوزيع السكان فى مختلف الجهات ، لأن بعض البلاد مكتظ وفيها تنخفض الأجور وتنتشر البطالة لكثرة الأيدى العاملة وزيادتها عن حاجة علاوة على ارتفاع إيجار الأراضى للتزاحم عليها ارتفاعا لا يتناسب مع غلتها ، وفى هذا ضرر لصغار المستأجرين وهم السواد الأعظم . والبعض من البلاد على ظمأ إلى الأيدى العاملة لقلة السكان فاذا قامت الحكومة بتشجيع الهجرة وتنظيمها ترتفع الأجور وتقل البطالة والمناطق المكتظة وتعمر المناطق الخالية فيزيد الإنتاج العام ويزيد دخل الفلاح تبعا لذلك . وهذه ناحية من أعقد مشاكلنا ونسير على عجل الى سبب من أكبر أسباب الفقر ، وذلك أن عدد السكان فى نمو مطرد والأرض المزرعة باقية دون زيادة ، لهذا يجب أن تستصلح الحكومة كل ما لديها من بور لتدخله فى نطاق الزراعة فيزيد نصيب كل فرد من سكان البلاد . ويحسن بها أن تجزئ إلى مساحات صغيرة ما لديها وما تستصلحه من الأراضى وتوزعه على صغار الفلاحين بشروط سهلة على أن تمدهم بالمال فى بدء عملهم ليتمكنوا من استغلالها ، وفى هذا التوزيع خير عميم للبلاد ، لأنه ينشئ طبقة من صغار الملاك نحن فى حاجة إليها وهى عماد الثروة الأهلية فى جميع العالم وفى هذا منع لانتشار الملكيات الكبيرة التى لا يرجى منها خير لأنها شبيهة بالاقطاعيات فى القرون الوسطى لما فيها من تسلط الأغنياء على الفقراء والأقوياء على الضعفاء هذا ومما يزيد فى كسب الفلاحين أن يرشدهم وزوجاتهم إلى صناعات يدوية بسيطة يمارسونها فى أوقات فراغهم كما يفعل المزارعون فى البلاد الأجنبية ، ويجب إرشادهم إلى العناية بالصناعات الزراعية كعمل الجبن ومشتقات اللبن الأخرى وتربية الماشية والدواجن واختيار أفضلها لتدر عليهم بعض المال مما يزيد فى دخلهم كما هو الحال فى الدانمارك وهولاندا وسويسرا وكلها أقل منا خصبا لكنها أكثر منا مالا بفضل الصناعات الزراعية والعناية بالماشية ومنتجاتها . هذا ، ويجب أن يبث فى الفلاح حب التطلع للجديد من الأمور والعناية بالمحاصيل التى لم يألفها كالفاكهة والخضر والزهور ، ولنا ثروة ضخمة فى هذه الناحية لو عرفنا كيف نستغلها ، لأن مناخنا وخصوبة أرضنا يسمحان لنا بزراعتها على مدار السنة . ونحن على أبواب أوروبا حيث الأسواق الواسعة التى لا ينافسنا فيها منافس قوى . هذا ومما يعود على الفلاح بالربح ويرفع مستواه أن تعمل وزارة الشؤون الاجتماعية على نشر وتأسيس الجمعيات التعاونية الزراعية لتمد الزارع بنفقة الزراعة فتحميه من المرابين وتيسر له شراء البذور والأسمدة وبيع محاصيله بثمن معتدل لا غبن عليه فيه وتمكنه من استعمال الآلات الزراعية

الحديثة مما لا يستطيع شراءه لارتفاع ثمنه وصغر رأس ماله، ولتدله على كل ما فيه الخير من الناحية الزراعية مما يقع فى اختصاصها. و إذا كان للتعاون أثر محمود فى بلاد تفوقنا ثروة وعلما فنحن إليه أحوج إذ المال قليل لدينا والعلم لم ينتشر بيننا. هذا ما أرى فيه غنى للفلاح و يسرا، أما عن السبب الثانى من أسباب شقوته وهو المرض فأرى أن تسعى وزارة الصحة . ما استطاعت لتيسير العلاج للفلاحين وجعله على مقربة منهم وذلك بالإكثار من الوحدات الصحية المتنقلة، لأن المستشفيات فى عواصم المديريات والمراكز وهى بعيدة عن القرى التى تقيم فيها الغالبية من أهل الريف. و إذا كانت الوقاية خيرا من العلاج فمن الواجب نشر التعاليم الصحيـة وردم البرك المنتشرة لأنها معامل لتفريخ الجراثيم تتوالد فيها وتكثر فيجب ردمها دفعا لشرها ولينتفع بزراعتها بعد الردم، ويجب توفير المـاء الصالح للشرب فى القرى منعا لتفشى الأمراض فيها . وقبيح بنا أن نشرب ماء صفوا نقيا ويشرب إخواننا ماء قذرا ملوثا، وقد لا يجد الفلاح فى بعض فصول السنة هذا المـاء القذر الملوث فيعمد إلى المستنقعات والبرك ليشرب مما تجمع فيها من رشح وماء آسن، و إن فى هذا إنكارا لآدميته و إجحافا صارخا به كفرد من أفراد الأمة عليه واجبات وله حقوق ، وهو يقوم بما تفرضه عليـه الدولة من ضرائب والتزامات وله أن يستمتع بما يستمتع به الآخرون من سكان المدن .

لهذا يجب على الحكومة أن تعنى كل العناية بهذا الموضوع إذ لا فائدة ترجى من المستشفيات والوحدات الصحية ويرمى من كل مشروع آخر الى تحسين صحـة الفلاح مادام يشرب ماء قذرا تعافه النفس مليئا بالجراثيم، أما فيما يختص بالسبب الثالث من أسباب بؤس الفلاح وهو الجهل، فأرى أنه إذا زاد كسب الفلاح ولان له العيش وانصرف عنه المرض اتجه إلى العلم، ورغب فى الثقافة وقد تبين أن التعليم الاجبارى لم يحقق ما علق عليه من آمال لأن الأطفال جياع هزيلون فلما أطعموا اشتدت أجسـامهم ونشطت عقولهم وأقبلوا على العلم . وقد هدى وزارة الشؤون الاجتماعية بحثها فى أمر الفلاح لرفع مستواه الى انشاء المراكز الاجتماعية فكان عملها جليلا يستحق الثناء لأنها خففت آلام المرضى وسهلت لهم العلاج وأرشدت القرية إلى ما فيه نفعها وعلى كل منا أن يقدم لهذه المراكز ما استطاع من عون لمـا فيها من خير جزيل للبلاد وقد قصدت الوزارة وخيرا قصدت أن تجعل من المراكز فى مستقبل الأيام مؤسسات شعبية تحت إشرافها على أن يتولى الأهالى إدارتها لمـا فى ذلك من الاقتصاد لأموال الدولة ولتدريب الأمة على أن تباشر شؤونها وتعنى بها بنفسها ، ومن الواجب ألا تضن الحكومة عليها بالمـال لأنها بداية موفقة لإصلاح ما أشد حاجتنا إليه وأرجو أن تم الوزارة نعمتها على البلاد بتعميم هذه المراكز فى أنحاء القطر كما أرجو أن يكون للمرأة نصيب وافر ومكان مرفوع فى عمل هذه المراكز من ناحية الإرشاد والإصلاح لأنها أقدر من الرجل على تعرف مواضع الألم و إدراك معنى الشقاء لمـا أودع فى قلبها من رحمة وحنان . والإصـلاح عمل تجيده المرأة لعلاقته بالعاطفة ،

وهى قوية عنيفة عندما لما فى طباعها من شفقة . هى تحس الشقوة فتبكى لبكاء المحزون، وتسمع أنين المريض، وشكاة الجائع، فتسيل دموعها رأفة بهما وتثور للبؤس فتعطف على البائس المنكود وقولها محبب إلى النفس لما فيه من رقة فتتسع له الصدور وتعيه القلوب .

سيداتى وسادتى :

ليس إصلاح الفلاح خاصا بالحكومة دون غيرها ، هو واجب عليها وعلى كل من وهبه الله سعة فى الرزق ومكن له فى الحياة بعلم أو جاه، ولشيوخ الأمة ونوابها وكبار الملاك وأعيان البلاد فيها نصيب وافر من واجب الإصلاح، فليكن كل منهم مجاهدا فى سبيله عاملا على تحقيقه. وإن للمحرومين سهما فى أموال الأغنياء ، وللعوزين حانبا فى خير الموسرين وللمعاثرين حقا أن يتساندوا على القائمين لينهضوا، تلك فروض قضت بها الإنسانية وقررتها جميع الأديان والشرائع وإن الفلاح خليق بكل عناية فقد اخضرت حقولنا بما بذله من مجهود وكثرت خيراتنا بما نضح جبينه من عرق وامتلأت خزائن مصر ذهبا بجهده وعمله وإنه مثل جميل للصبر الجميل يعمل طول يومه تحت شمس محرقة عارى الرأس حافى القدمين لا يشكو ولا يئن، فاذا مالت الشمس للغيب رجع الى أهله مبسوط الأسارير كأنه لم يشق ولم يكد ، وتستر أطماره ثيابا طوية طيبة وسريرة نقية لم تفسدها يد البؤس، لهذا كان لزاما علينا أن نسعى لإسعاده اعترافا بماله من أياد وتقديرا لما فيه من خصال حميدة . ومن الخير أن نذيقه حلاوة الحياة ليستوفى نصيبه منها فيمسى مرارة عيش لازمه طويلا ليصبح مطمئنا راضيا وإن الساعة مرهوبة والغد مدثرا لا ندرى ماذا يريد بنا .

واذا كان الناس على دين ملوكهم فلنسر فى سيرة مليكنا المحبوب، أطال الله بقاه، أسوة حسنة ومثال رائع جميل . انظروا كيف يعطف على البؤساء والمساكين فيطعم الجائع ويكسو العارى ويحنو على المريض وتشمل رحمته الفسيحة الفلاحين فى مزارعه ولا تمتد يده الكريمة اليهم إلا بما فيه البر بهم والإحسان اليهم .